**الباب الرابع:**

**جهود علماء الحنفية في الرّد على الخوارج فيما يتعلق بقضيّة التّحكيم والصّحابة وغير ذلك من مسائل العقيدة.**

**وفيه فصلان:**

**الفصل الأول:**

**جهود علماء الحنفية في الرد على الخوارج فيما يتعلق بقضية التحكيم والصحابة، وفيه ثلاثة مباحث.**

**الفصل الثاني:**

**جهود علماء الحنفية في الرد على الخوارج في مسألة الصفات، وإنكارهم بعض أحكام الدين، وفيه مبحثان.**

**الفصل الأول:**

**جهود علماء الحنفية في الرد على الخوارج فيما يتعلق بقضية التحكيم والصحابة، وفيه ثلاثة مباحث.**

**المبحث الأول:**

**أقوال علماء الحنفية في توقير الصحابة وتعظيهم وعدم الطعن فيهم، والرد على مخالفة الخوارج في ذلك.**

**المبحث الثاني:**

**بيان أنّ علياً كان محقّا في قتال الخوارج، وأنّ قضيّة التّحكيم التي تمسّك بها الخوارج لا تصلح للاحتجاج.**

**المبحث الثالث:**

**بيان مناصحة الصحابة للخوارج ودعائهم للصلح قبل قتالهم.**

**المبحث الأول: أقوال علماء الحنفيّة في توقير الصّحابة وتعظيمهم وعدم الطعن فيهم، والرّد على الخوارج في ذلك:**

من أصول أهل السنّة والجماعة في باب الاعتقاد: احترام الصّحابة وتقديرهم، وذكرهم بالخير، والثّناء عليهم، وعدم الطّعن فيهم، ولا سبّهم ولا شتمهم؛ لأنهم عايشوا التنزيل وكانوا من السّبّاقين إلى الخير وتحمّلوا المشاقّ مع النبي في العسر واليسر، وحملوا هذا الدين إلى مشارق الأرض ومغاربها، يقول الإمام الشافعي: (وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله فى القرآن والتوراة والإنجيل, وسبق لهم على لسان رسول الله من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهنّأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى المنازل الصديقين والشهداء والصالحين، أدّوا الينا سنن رسول الله عاماً وخاصّاً، وعزماً وإرشاداً، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا فى كل علم واجتهاد وورع وعقل...).([[1]](#footnote-1))

وقد وصفهم الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم بالأوصاف الجميلة فقال تعالى: **(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ)**([[2]](#footnote-2)) .

فقد رضي عنهم الباري سبحانه، ورضي عنهم النبي ، حيث لم يتوفّ النبي إلا وهو راض عنهم.

وقال تعالى: **(** ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ**)**([[3]](#footnote-3))

قال الألوسي في تفسير هذه الآية: (ولذا استوجبت رضا اللّه تعالى الذي لا يعادله شيء، ويستتبع ما لا يكاد يخطر على بال، ويكفي فيما ترتّب على ذلك ما أخرج...مسلم عن النبي قال : **«لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»**([[4]](#footnote-4))..

فينبغي لكل من يّدعي الإسلام: حبّهم وتعظيمهم والرضا عنهم، وإن كان غير ذلك لا يضرهم بعد رضا اللّه تعالى عنهم).([[5]](#footnote-5))

وعُدّ محبّتهم دين وإيمان، أما عدواتهم فكفر ونفاق، يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله : (ونحبّ أصحاب رسول الله ، ولا نفرّط في حبّ أحد منهم، ولا نتبرّأ من أحد منهم, ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم, ولا نذكرهم إلا بخير, وحبّهم دين و إيمان وإحسان وبُغضهم كفرٌ ونفاق وطغيان).([[6]](#footnote-6))

بل وعُدّ الطعن في الصّحابة من علامات أهل البدع، حيث صرّح غير واحد من أهل العلم بأنه: إذا رأيت رجلاً ينتقص من أصحاب رسول الله فاعلم أنه صاحب بدعة.

وقد أطنب علماء الحنفيّة الثناء في على أصحاب محمد ، وبينوا أن ساعة من عمرهم أمضوها مع النّبي صلى أفضل من عبادة العمر كله بالنسبة للآخرين.

قال أبو حنيفة: (مقام أحدهم مع النبي ساعة أفضل من عبادتنا طول عمرنا).([[7]](#footnote-7))

وقال: (وأفضل الناس بعد النّبيين عليهم الصّلاة والسّلام أبو بكر الصّديق، ثم عمر بن الخطاب الفاروق، ثم عثمان بن عفان ذو النورين، ثم علي بن أبي طالب المرتضى رضوان الله عليهم أجمعين، عابدين ثابتين على الحقّ ومع الحقّ، نتولّاهم جميعا، ولا نذكر أحدا من أصحاب رسول الله إلا بخير).([[8]](#footnote-8))

وقال أيضا: (الجماعة أن تفضل أبا بكر وعمر وعليا وعثمان، ولا تنتقص أحدا من أصحاب رسول الله ، ولا تكفّر الناس بالذنوب...).([[9]](#footnote-9))

وسئل: من أي الأصناف أنت؟، فأجاب بقوله: (أنا ممن لا يسبّ السّلف، ويؤمن بالقدر، ولا يكفر أحدا بالذنوب).([[10]](#footnote-10))

وقال أبو حمزة السكري: (ما رأيت أحدا قط من العلماء أحسن قولا في أصحاب رسول الله من أبي حنيفة، وكان يعطي كل ذي حق حقه من الفضل، وما ذكر واحدا منهم بالنقص حتى مضى سبيله).([[11]](#footnote-11))

وقال أيضا [يعني أبو حنيفة]: (ويحبّهم كلّ مؤمن تقيّ، ويبغضهم كلّ منافق شقيّ).([[12]](#footnote-12))

وقول الإمام أبي حنيفة هذا مأخوذ من حديث النبي في حق الصّحابة من الأنصار: **«لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق»**([[13]](#footnote-13)).

وهذه الأقول من هذا الإمام الجليل في مدح الصّحابة لَدليلٌ واضح على حبّه للصّحابة الذين اختارهم الله من بين سائر خلقه لصحبة نبيّه ، وقد بيّن الإمام أنّ حبّ الصّحابة من الإيمان وبغضهم من النّفاق؛ لأن الذي يبغضهم لا يبغضهم إلا ويكون قبله مشحونا بالنّفاق والزّندقة لعلمه أنهم نقلةُ الدِّين وحرّاسه، وهم الواسطة بين النّبي وبين أمته.

وقد سار على درب أبي حنيفة أتباعه في مدح الصّحابة واتّهام من يذمّهم بالنّفاق، والنقولات عنهم كثيرة ومتفرّقة، أنا أورد بعضها، منها:

أن رجلا سأل أبا يوسف فقال: (يا أبا يوسف! يذكرون عنك أنك تجيز شهادة من يشتم أصحاب النبي على التّأويل؟ فقال: ويحك هذا أحبسه وأضربه حتى يتوب).([[14]](#footnote-14))

وأبو جعفر الطحاوي: (ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذريته المقدسين من كل رجز، فقد برئ من النفاق).([[15]](#footnote-15))

إذن الكفّ عن ذكر الصّحابة بسوء من علامات أهل السنّة، والوقيعة فيهم من علامات أهل البدع، كما نقل ذلك الكاساني عن أبي حنيفة وقرّره فقال:

(والكفّ عن تفسيقهم، والإمساك عن الطعن فيهم من شرائط السنّة والجماعة).([[16]](#footnote-16))

وقال النسفي صاحب العقائد النسفية: (ويُكَفُّ عن ذكر الصّحابة إلا بخير).([[17]](#footnote-17))

وقال جمال الدين الغزنوي([[18]](#footnote-18)): (ونحن نحبّ أهل بيت رسول الله وأزواجه، وذرّياته، وقراباته، والصّحابة أجمعين، ونذكرهم بالخير، ونثني عليهم، وندعوا لهم بالخير، ونترحم عليهم، ولا نفرِط في حبّ أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم.

ونحبّ من يحبهم، ونبغض من يبغضهم، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السّبيل، وحبّهم دين وإيمان، وبغضهم كفر وطغيان، ونحسن القول فيهم، ونسكت عما جرى بينهم رضي الله عنهم أجمعين([[19]](#footnote-19)) .

يقول ابن الهمام: (واعتقاد أهل السنّة تزكية جميع الصّحابة وجوبا بإثبات العدالة لكل منهم، والكف عن الطعن فيهم، والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه وأثنى عليهم الرسول).([[20]](#footnote-20))

هذه هي العقيدة التي يجب أن يحملها المرء عنهم، فلا يجوز ذكرهم بسوء ولا الوقيعة فيهم، والواجب السّكوت عما شَجَر بينهم، قال علاء الدين البخاري:

(واعلم: أن عامة السّلف وجماهير الخلف اتفقوا على: عدالة جميع الصّحابة ; لأن عدالتهم ثبتت بتعديل الله تعالى إياهم وثنائه عليهم في آي كثيرة مثل قوله تعالى: **(**ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ**)**([[21]](#footnote-21)) وقوله عزّ اسمه: **(** ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ**)**([[22]](#footnote-22)) ، وقوله جل ثناؤه: **(**ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ**)**([[23]](#footnote-23)) في شواهد لها كثيرة).([[24]](#footnote-24))

وذكر الإمام ابن أبي العزّ رحمه الله عدة نصوص من القرآن والسنّة في الاستدلال على فضل الصّحابة ومدحهم وسابقيتهم، فقال:

(وقد أثنى الله تعالى على الصّحابة هو ورسوله، ورضي عنهم، ووعدهم الحسنى كما قال تعالى: **(**ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ**)**([[25]](#footnote-25)) وقال تعالى: **(**ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ**)**([[26]](#footnote-26)) وقال تعالى: **(**ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ**)**([[27]](#footnote-27)).

وقال تعالى: **(**ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ**)**([[28]](#footnote-28)) إلى آخر السورة، وقال تعالى: **(**ﯲﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ**)**([[29]](#footnote-29)).

وقال تعالى: **(**ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ**)** **(**ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ**)** **(**ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ**)**([[30]](#footnote-30)).

وهذه الآيات تتضمن: الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاؤوا من بعدهم ممّن يستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلا لهم

وتتضمن: أن هؤلاء هم المستحقون للفيء، فمن كان في قلبه غل للذين آمنوا ولم يستغفر لهم، لا يستحق من الفيء نصيبا بنص القرآن، وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسبَّه خالد، فقال رسول الله : **«لا تسبوا أحدا من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»**([[31]](#footnote-31))....

والمقصود: أنه نهى من له صحبة آخرا: أن يسب من له صحبة أولا؛ لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه، حتى لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه، فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية وإن كان قبل فتح مكة، فكيف حال من ليس من الصّحابة بحال مع الصّحابة ؟ رضي الله عنهم أجمعين....

وفي صحيح مسلم عن جابر قال: قيل لعائشة رضي الله عنها: إن ناسا يتناولون أصحاب رسول الله حتى أبا بكر و عمر! فقالت: وما تعجبون من هذا! انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر...

وفي الصحيحين من حديث عمران بن حصين وغيره أن رسول الله قال: **«خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»**([[32]](#footnote-32)).

وقد ثبت في صحيح مسلم عن جابر أن النبي قال: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»، وقال تعالى: **(**ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ**)**([[33]](#footnote-33)) الآيات.

ولقد صدق عبد الله بن مسعود في وصفهم؛ حيث قال: "إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئا فهو عند الله سيء"([[34]](#footnote-34)). ثم ذكر أن من لا يقول بفضلهم وسابقة عهدهم مع الرسول ، فهو أضلّ من اليهود والنصارى، فقال:

(فمن أضل ممن يكون في قلبه غل على خيار المؤمنين وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؟ بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلةن قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: من شرّ أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد! لم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبّوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة).([[35]](#footnote-35))

هذه النصوص التي ذكره الأئمة في مدح الصّحابة كلها تدل على علو مكانتهم في الإسلام وعظيم شأنهم، وجلالة قدرهم، ولذا فإن من ينتقص أحداً منهم يكون قد نزع الله من قبله نور الإيمان، وختم على قبله فلم يبق فيه أدنى نور يستنير به في أقواله وأعماله، يقول أبوالمحاسن يوسف بن محمد الحنفي:

(فهذه خصائص: اختص بها النبي من أصحابه، من اختصه بها ممن اختصه الله منهم بقوله: **(**ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ**)**([[36]](#footnote-36)) الآية، فبانت به فضيلتهم، وارتفعت به درجاتهم، ثم قال: ﴿ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ﴾ ، فدخل في ذلك جميع الصّحابة، فثبت: بذلك أن للصحابة فضلا على الناس جميعا، وانهم يتفاضلون بما كان منهم مما قد ذكره الله تعالى في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم).([[37]](#footnote-37))

ومن رحمة الله بعباده المؤمنين المخلصين أنْ لم يقع منهم ذمّ للصحابة ولا تنقيص لهم، وإنما الذّم أتى من قبل الخوراج والرافضة وغيرهم من أهل البدع، يقول ملا علي قاري بعد إيراده حديث عدم سب الأصحاب:

(ويمكن أن يكون الخطاب للأمة الأعم من الصّحابة حيث علم بنور النبوة أن مثل هذا يقع في أهل البدعة فنهاهم بهذه السنّة.

وفي شرح مسلم: اعلم أن سبّ الصّحابة حرام من أكبر الفواحش، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يُعزّر، وقال بعض المالكية: يقتل، وقال القاضي عياض: سب أحدهم من الكبائر انتهى.

وقد صرح بعض علمائنا بأنه يقتل من سب الشيخين...). ثم قال شارحا حديث: **«لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا..»** الحديث.

(أي: ولا بلغ نصفه، أي: من بر أو شعير لحصول بركته ومصادمته لإعلاء الدين وكلمته مع ما كانوا من القلة وكثرة الحاجة والضرورة؛ ولذا ورد سبق درهم مائة ألف درهم، وذلك معدوم فيما بعدهم، وكذلك سائر طاعاتهم وعباداتهم وغزواتهم..). ألى أن قال:

(إن هذا إنما يتم على ما سبق من سبب الحديث المستفاد منه: تخصيص الصّحابة الكبار لكي يعلم نهي سب غير الصحابي للصحابي من باب الأولى؛ لأن المقصود هو الزّجر عن سبّ أحد ممن سبقه في الإسلام والفضل؛ إذ الواجب تعظيمهم وتكريمهم، حيث قال الله تعالى: **(**ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ**)**([[38]](#footnote-38)) ).([[39]](#footnote-39))

فإذا كان خطاب النبي واردا لبعض الصّحابة بالنهي عن سب البدريّين، فمن باب الأولى الخطاب يشمل غير الصّحابة.

فالمؤمن لا يغامر أبدا في سب قوم أفنوا أعمارهم في خدمة الدين، وتحمّلوا كافة المصاعب مع النبي في إبلاغه، ثم بعد موت النبي قد واصلوا المسير فذهبوا إلى مشارق الأرض ومغاربها حاملين سيوفهم للذّب عن الدّين والدّفاع عنه، فكيف إذاً يجوز لمن يدّعي الإسلام أن يغض النّظر عن كل هذه المحاسن ثم يقع فيهم، فالواجب على المؤمن تعظيمهم، يقول ملا علي:

(والكتاب والسنّة مشحونان بمناقبهم وفضائلهم، وهم الذين نصروا نبيّهم في اجتهاده، وجاهدوا في الله حق جهاده، فتحوا بلاد الإسلام وحفظوا الأحكام وسائر العلوم من سيد الآنام، وانتفعوا بهم علماء الأعلام ومشايخ الكرام...

وقد ظهرت طائفة: لاعنة ملعونة، إما كافرة أو مجنونة حيث لم يكتفوا باللعن والطعن في حقهم؛ بل نسبوهم إلى الكفر بمجرد أوهامهم الفاسدة وأفهامهم الكاسدة من: أن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم أخذوا الخلافة -وهي حق علي-، بغير حق، والحال أن هذا باطل بالإجماع سلفا وخلفا ولا اعتبار بإنكار المنكرين، وأي دليل لهم من الكتاب والسنّة يكون نصا على خلافة علي، ثم من خالفه من بعض الصّحابة في أيام خلافته أيضا بناء على اختلاف اجتهاد فليس يستحق اللعن غايته أنه كان مخطئا، ولو فرضنا أنه كان مسيئا فلعله مات تائبا أو باقيا تحت المشيئة مع غالب رجاء المغفرة والشفاعة ببركة الخدمة المتقدمة....

فنحن مع كثرة ذنوبنا من الصغائر والكبائر إذا كنا راجين رحمة ربنا وشفاعة نبينا! فكيف بأكابر هذه الأمة وبأنصار هذه الملة؟ ومن العجيب أن طائفة الرافضة المرفوضة الباغضة المبغوضة: أفسق الخلق، وأظلمهم، وأحمق العالمين، وأجهلهم! فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس).([[40]](#footnote-40))

وقال أبو الثناء الألوسي: (اعلم: أن أهل السنّة أجمعوا على: أن جميع الصّحابة عدول، يجب على الأمة تعظيمهم، فقد أخلصوا الأعمال من الرّياء نفلا وفرضا، واجتهدوا في طاعة مولاهم ليرضى، وغضوا أبصارهم عن الشهوات غضّا، فإذا أبصرتهم رأيتَ قلوبا صحيحة وأجسادا مرضى، وعيونا قد ألِفَتِ السّهر فما تكاد تُطعم غَمضا، بادروا لعلمهم أنها ساعاتٌ تتقضّى....

ومن ارتكب منهم ما يخالف بعض هذه الأوصاف لم يمت إلا وهو أنقى من ليلة الصدر([[41]](#footnote-41)) غير مدنَّس بوصمة، ولا مُصِرّاً على سيئة)([[42]](#footnote-42)).

وقد شبه محمد عبد الحي الصّحابة بالنجوم لما عندهم من الكمال الذي اقتبسوه من هدي النبي حيث قال: (اعلم أن النبي كان في الفضل والكمال مثل الشمس، وكانت الصّحابة مثل النجوم اقتبسوا منه الفضل والكمال، والتابعون اقتبسوا الفضل والكمال من الصّحابة، وتابعوهم اقتبسوا منهم، فكان النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الناس، ثم الصّحابة، ثم التابعون، ثم تابعوهم....

ولما كان الصّحابة أفضل الناس بعد الأنبياء، كان من أضمر في قلبه عداوتهم وآذاهم بالسب ونحوه، كان أشر الخلق عند الله تعالى، كيف لا؟ وقد رضي الله عنهم كما قال تعالى: **{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْه**ُ﴾، واختار لنبيه صحبتهم، فمن أبغضهم، ومن في قلبه عداوتهم فقد أبغض في الحقيقة فعله تعالى، وطعن في أمره، وكره مَنْ رضي الله تعالى عنه، وذلك هو الخسران المبين).([[43]](#footnote-43))

وقال العلامة محمد شفيع([[44]](#footnote-44)): (الصّحابة كلهم عُدُل مرضيون عند الله، فالطّعن فيهم والغيض عليهم من أمارات الكفر، والبحث والتنقيد في عدالتهم خروج من أهل السنّة والجماعة).([[45]](#footnote-45))

ما سبق ذكره جملة من عبارات علماء الحنفيّة في تعظيم الصّحابة وعظيم مكانتهم عند الله عزّ وجلّ وعند النبي ، وبيان أنّ الطّعن فيهم يؤدي إما إلى الكفر أو النفاق.

أما الخوارج فلم يراعوا للصحابة فضلهم ولا صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا منزلتهم عند الله عزّ وجلّ، حيث كفّروا أكثر الصّحابة ولم يستثنوا من التكفير إلا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وبعض الصّحابة الآخرين، وأطلقوا لسانهم في بغضهم وتنقيصهم وتكفيرهم، بل وقاموا بقتل بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم.

يقول البغدادي: (واما الخوارج: فقد أكفروا عليا وابنيه، وابن عباس، وأبا أيوب الانصاري، وأكفروا ايضا: عثمان، وعائشة، وطلحة، والزبير، وأكفروا :كل من لم يفارق عليا ومعاوية بعد التحكيم، وأكفروا كل ذي ذنب من الامة ،ولا يكون على سمت الصّحابة من يقول بتكفير أكثرها).([[46]](#footnote-46))

**المبحث الثاني: بيان أن عليّا كان محقّا في قتال الخوارج، وأن قضيّة التّحكيم التي تمسّك بها الخوارج لا تصلح للاحتجاج:**

احتجّ الخوارج على عليّ بقضيّة التّحكيم وقالوا إن عليا ومن معه قد كفَرُوا لتحكيمهم الرّجال وتركهم التحاكم إلى كتاب الله عزّ وجلّ.

والخوارج في البداية هُم مَن أجبروا عليا على إجراء الصلح مع معاوية إلا أنهم أنكروا في النهاية على علي صلحه مع معاوية وانشقوا عن صفه وأعلنوا الحرب عليه وعلى جميع الصّحابة الذين كانوا معه ، يقول الكنغراوي:

(لما كان أمر الحكمين، وخرجت الخوارج منهم على علي ينكرون عليه التحكيم، قالوا: إنه حكّم آراء الرجال ولا حكم إلا لله، ينسبونه إلى الشرك، فتبرؤوا من الفريقين جميعا، وأمّروا على أنفسهم عبد الله بن وهب الرّاسبي وساروا إلى النّهروان، فبعث علي إليهم ابن عباس فناظرهم حتى رجع منهم ألفان، واستمر سائرهم على الضلالة، وأفسدوا وسفكوا الدم الحرام).([[47]](#footnote-47))

وقضية التحكيم التي أصبحت المرتكز الأساس لدى الخوارج في معارضة علي لم تكن لتصبح أساس المعارضة بينهم وبين علي إلا لجهل الخوارج بالدين حيث استندوا إلى شبهٍ لا أساس لها، وقد روت كتب التاريخ قصة التّحكيم، وهي باختصار:

(لما اشتد القتال يوم صفين قال عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعا ولا يزيدهم إلا فرقة؟ قال: نعم, قال: نرفع المصاحف, ثم نقول لما فيها: هذا حكم بيننا وبينكم.

فرفعوا المصاحف بالرماح, وقالوا: هذا كتاب الله بيننا وبينكم.

فلما رآها الناس قالوا: نجيب إلى كتاب الله...

فقال الناس: قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكما.

قال أهل الشام: رضينا عمرو بن العاص. وقال الآخرون: رضينا بأبي موسى الأشعري. وكتبوا كتاب التحكيم.

فلما قرأه على الناس...قالوا: تحكمون في أمر الله الرجال, لا حكم إلا لله..

وكان ذلك أول ما ظهرت الحرورية الخوارح.

تقول الخوارج: يا أعداء الله! داهنتم في دين الله.

ويقول الآخرون: فارقتم إمامنا, ومزقتم جماعتنا. ولم يزالوا كذلك حتى قدموا العراق...

فلما دخل الكوفة [يعني علي] ذهبت الخوارج إلى حروراء فنزل بها اثنا عشر ألفا...

فجاء علي وابن عباس يخاصمهم, فقال: إني نهيتك عن كلامهم حتى آتيك.

ثم تكلم فقال: من زعيمكم؟ قالوا ابن الكواء.

فقال: فما أخرجكم علينا؟

قالوا: حكومتكم يوم صفين.

قال: أنشدكم الله! أتعلمون أنهم حين رفعوا المصاحف وملتم بجنبهم قلت لكم: إني أعلم بالقوم منكم...

قالوا: فخبرنا أتراه عدلا تحكيم الرجال في الدماء.

قال: إنا لسنا حكمنا الرجال, إنما حكمنا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين, وإنما يتكلم به الرجال....

وخطب علي يوما آخر فقال رجال في المسجد: لا حكم إلا لله.

يريدون بهذا إنكار المنكر على زعمهم. فقال علي: الله أكبر! كلمة حق أريد بها باطل...

ثم بلغ عليا أن الناس يرون قتال الخوارج أهم وأولى. فناداه الناس: أن سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت.

ثم إنّ الخوارج استعرّ أمرهم, وبدأوا بسفك الدماء وأخذوا الأموال, وقتلوا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ...

فلما بلغ ذلك عليا اجتمع الرأي على حربهم, وسار علي يريد قتالهم...

فلما وصل إليهم، قالوا: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا نقتلهم ونترككم, فلعل الله أن يقبل بقلوبكم, ويردكم إلى خير ما أنتم عليه. فقالوا: كلنا قَتَلَتُهُم, وكلنا مستحلّ لدمائهم ودمائكم...

وأتاهم عليّ فقال: أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء واللجاجة, وصدها عن الحق الهوى, وطمع بها النّزق, وأصبحت في الخطب العظيم).([[48]](#footnote-48))

وهذه القضية أول قضية تمسك بها الخوارج في مسألة الحاكميّة، واعتقدوا أن عليا ومعاوية ومن معهم قد كفروا بسبب تحكيمهم الرجال في مسألة الصّلح، حيث قالوا تركتم كتاب الله وحكّمتم الرّجال.

كما تبيّن من القصة أن عليا أراد الصلح مع الخوارج إلا أنهم أبوا زاعمين كفره وارتداده عن الإسلام، يقول الشهرستاني: (اعلم أن أول من خرج على أمير المؤمنين علي جماعة ممن كان معه في حرب صفين....

وكان من أمر الحكمين : أن الخوارج حملوه على التحكيم أولا.

وكان يريد أن يبعث عبد الله بن عباس رضي الله عنه فما رضي الخوراج بذلك، وقالوا : هو منك، وحملوه على بعث أبي موسى الأشعري، على أن يحكم بكتاب الله تعالى، فجرى الأمر على خلاف ما رضي به. فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه وقالوا: لم حكمت الرجال؟ لا حكم إلا لله)([[49]](#footnote-49)).

ولا شك أن هذا الفهم الخاطئ، حملهم عليه ظنّهم أن تحكيم الرجال كبيرة، وبالتالي ارتد مرتكبوها، يقول السرخسي:

(قال([[50]](#footnote-50)) وبلغنا عن علي رضي الله تعالى عنه: أنه بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ حكمت الخوارج من ناحية المسجد، فقال علي رضي الله عنه: كلمة حق أريد بها باطل! لن نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله، ولن نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولن نقاتلكم حتى تقاتلونا، ثم أخذ في خطبته.

ومعنى قوله: إذ حَكَّمت الخوارج، أي: نادوا: الحكم لله، وكانوا يتكلمون بذلك إذا أخذ علي رضي الله عنه في خطبته؛ ليشوشوا خاطره فإنهم كانوا يقصدون بذلك: نسبته إلى الكفر؛ لرضاه بالحكمين وتفويضه الحكم إلى أبي موسى رضي الله عنه؛ ولهذا قال علي رضي الله عنه: كلمة حق أريد بها باطل، يعني: أن ظاهر قول المرء: الحكم لله حق، ولكنهم يقصدون به: الباطل وهو: نسبته إلى الكفر

ثم فيه دليل على أنهم ما لم يعزموا على الخروج فالإمام لا يتعرض لهم بالحبس والقتل، فإن المتكلمين بذلك ما كانوا عازمين على الخروج عند ذلك؛ فلهذا قال: لن نمنعكم مساجد الله، ولن نمنعكم الفيء، وفيه دليل على أن التعريض بالشتم لا يوجب التعزّير، فإنه لم يعزّرهم وقد عرضوا بنسبته إلى الكفر والشتم بالكفر موجب للتعزير...).([[51]](#footnote-51))

وهذا النقل عن محمد بن الحسن ذكره أيضا كثير من الحنفيّة ومنهم ابن الهمام([[52]](#footnote-52))

ويقول ابن عابدين: (خوارج الذين خرجوا من عسكر علي عليه بزعمهم أنه كفر هو ومن معه من الصّحابة، حيث حكم جماعة في أمر الحرب الواقع بينه وبين معاوية، وقالوا: إن الحكم إلا لله، ومذهبهم: أن مرتكب الكبيرة كافر، وأن التحكيم كبيرة لشبه قامت لهم.([[53]](#footnote-53))

فالخوارج كانوا يصرون على مقاتلة معاوية بدليل أنهم بغاة، ولكن عليا لم يكن يرى ذلك، بل كان يلمح للصلح وذلك لاجتماع الكلمة وتوحيد الصف، يقول ملا علي:

(وكان علي مصيبا في التحكيم، وزعمت الخوارج أنه كان مخطئا فيه وكفر إذ الواجب في أهل البغي المحاربة لقوله تعالى: ﴿فإن بغت..﴾ الآية، ولكنا نقول: المقصود إرادة دفع الشر وتأليف القلوب، وهذا فيما فعل عليّ رضي الله تعالى عنه).([[54]](#footnote-54))

إذنْ القضية الأساسية التي أشغلت بال الخوارج هي قضيّة التحكيم، ومن أجلها انفصلوا عن جيشه واستوطنوا حروراء.

وقد ذكر علماء الفرق وعلماء الحنفيّة إبطال حجج الخوارج واستدلالاتهم، من خلال ذكر مناقشة ابن عباس رضي الله عنهما لهم فيما ذهبوا إليه في قضية التحكيم.

حيث قال لهم: إذا كان الله أوكل التحكيم إلى الرجال في قضية الصلح بين الزوجين، وفي تقدير قيمة الحيوان الذي اصطيد، فإنه من باب أولى جواز التحكيم إلى الرجال في قضية الصلح والإمامة، قال ابن الهمام:

(أسند النسائي: في سننه الكبرى في خصائص علي إلى ابن عباس قال: لما خرجت الحرورية اعتزلوا في دار وكانوا ستة آلاف، فقلت لعلي يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة لعلِّي أكلم هؤلاء القوم، قال: إني أخافهم عليك، قلت: كلا. فلبست ثيابي ومضيت إليهم حتى دخلت عليهم في دار وهم مجتمعون فيها، فقالوا: مرحبا بك يا ابن عباس ما جاء بك؟ قلت: أتيتكم من عند أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين والأنصار: من عند ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره وعليهم نزل القرآن، وهم أعرف بتأويله منكم وليس فيكم منهم أحد جئت لأبلغكم ما يقولون وأبلغهم ما تقولون، فانتحى لي نفر منهم.

قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله وابن عمه وختنه وأول من آمن به، قالوا: ثلاث! قلت: ما هي؟ قالوا:

إحداهن: أنه حكم الرجال في دين الله، وقد قال تعالى: **(**ﮭﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ**)**([[55]](#footnote-55)) ، قلت: هذه واحدة.

قالوا: وأما الثانية فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، فإن كانوا كفارا فقد حلت لنا نساؤهم وأموالهم ،وإن كانوا مؤمنين فقد حرمت علينا دماؤهم، قلت: هذه أخرى.

قالوا: وأما الثالثة فإنه محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فإنه يكون أمير الكافرين! قلت: هل عندكم شيء غير هذا قالوا حسبنا هذا.

قلت لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله، وحدثتكم من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يرد قولكم هذا ترجعون؟ قالوا: اللهم نعم، قلت: أما قولكم: إنه حكم الرجال في دين الله، فأنا اقرأ عليكم أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في أرنب ثمنها ربع درهم، قال تعالى: **(**ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ**)**([[56]](#footnote-56)) إلى قوله: ﴿ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ﴾ وقال في المرأة وزوجها: **(**ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ**)**([[57]](#footnote-57)) أنشدكم الله! أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وإصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم؟ قالوا: اللهم بل في حقن دمائهم وإصلاح ذات بينهم، قلت: أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.

قلت: وأما قولكم: إنه قاتل، ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أمكم عائشة فتستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟ لئن فعلتم لقد كفرتم، فإن قلتم: ليست أمنا فقد كفرتم، قال الله تعالى: **(**ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ**)**([[58]](#footnote-58)) ، فأنتم بين ضلالتين، فأتوا منها بمخرج أخرجت من هذه الأخرى قالوا: اللهم نعم.

قلت: وأما قولكم: إنه محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن رسول الله دعا قريشا يوم الحديبية على: أن يكتب بينه وبينهم كتابا، فقال: اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال: والله أني لرسول الله وان كذبتموني، يا علي اكتب: محمد بن عبد الله، فرسول الله خير من علي وقد محا نفسه ولم يكن محوه ذلك محواً من النبوة أخرجت من هذه الأخرى، قالوا: اللهم نعم، فرجع منهم ألفان، وبقي سائرهم فقتلوا على ضلالتهم؛ قتلهم المهاجرون والانصار([[59]](#footnote-59))...).([[60]](#footnote-60))

وقد ذكر هذه المحاجَّة بين ابن عباس والخوارج غير واحد من الحنفيّة، وقالوا بتخطئة الخوارج، منهم: البابرتي([[61]](#footnote-61))، وملا حويش([[62]](#footnote-62))

وهذه الحجة الثلاثية التي تمسك بها الخوارج في الاستدلال على صحة معتقدهم، قد فنّدها ابن عباس رضي الله عنهما بأدلة من القرآن ووقائع تبطل استدلالهم، ولكن مع ذلك كان علي بن أبي طالب مصرّاً على رجوعهم إلى الحق وترك التمادي في الطغيان، يقول ملا علي قاري:

(وكان علي رضي الله عنه مصيباً في التحكيم، وزعمت الخوارج أنه كان مخطئا فيه وكفر إذ الواجب في أهل البغي المحاربة لقوله تعالى: ﴿فإن بغت﴾ الآية، ولكنا نقول: المقصود إرادة دفع الشر وتأليف القلوب، وهذا فيما فعل عليّ رضي الله تعالى عنه).([[63]](#footnote-63))

هذه هي قصة ابن عباس مع الخوارج، وقد استجاب كثير منهم إلى حجة ابن عباس رضي الله عنهما، إلا أنه بقيت منهم بقية لم يستجيبوا وأصرّوا على المعارضة، ومن ثم فإنّ عليا قاتلهم بمشورة الصّحابة ولم يترك منهم إلا نفرا قليلا**.**

وقد ورد عن النبي آثارٌ عدة في قتال الخوارج، بل وتمنّى النبي مقاتلتهم في حال الإدراك، وأخبر أن الذين يقاتلونهم من أصحابه هم أقرب الطائفتين إلى الحق.

وقد فاز بهذه الخيرية علي بن أبي طالب ؛ حيث قاتلهم بعد أن ناصحهم، لكنهم عاندوا واستكبروا وطغوا في الأرض فسادا.

وقد نصّ غير واحد من الحنفيّة على أحقية علي بقتال الخوارج، وأنه في ذلك كان مصيبا، حيث يقول أبو بكر الجصاص: (وكذا فعل علي بن أبى طالب كرم اللّه وجهه: بدأ بدعاء الفئة الباغية إلى الحق، واحتج عليهم، فلما أبوا القبول قاتلهم.

وفي هذه الآية دلالة: على أن اعتقاد مذاهب أهل البغي لا يوجب قتـــــــــــالهم ما لم يقاتـــــلـــــوا؛ لأنــــــه قــــــال: **(ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ)**([[64]](#footnote-64))، فإنما أمر بقتـــــالهم إذا بغــــــــوا علــــــــى غيرهم بالقتال، وكذلك فعل علي بن أبى طالب مع الخوارج، وذلك لأنهم حين اعتزلوا عسكره بعث إليهم عبد اللّه بن عباس فدعاهم، فلما أبوا الرجوع ذهب إليهم فحاجهم فرجعت منهم طائفة وأقامت طائفة على أمرها، فلما دخلوا الكوفة خطب فحكمت الخوارج من نواحي المسجد وقالت: لا حكم إلا اللّه، فقال علي : كلمة حق يراد بها باطل).([[65]](#footnote-65))

وقال السرخسي: (فحينئذ يجب على من يقوى على القتال: أن يقاتل مع إمام المسلمين الخارجين؛ لقوله تعالى: **(**ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ**)**([[66]](#footnote-66)) والأمر حقيقة للوجوب؛ ولأن الخارجين قصدوا أذى المسلمين، وإماطة الأذى من أبواب الدين، وخروجهم معصية، ففي القيام بقتالهم: نهي عن المنكر وهو فرض؛ ولأنهم يهيجون الفتنة). إلى أن قال:

(وهو فرض على من يطيقه، والإمام فيه علي ، فقد قام بالقتال وأخبر أنه مأمور بذلك بقوله : **«أمرت بقتال المارقين والناكثين والقاسطين»**([[67]](#footnote-67))).([[68]](#footnote-68))

ولا شك أن عليا قد نال الأفضيلة والأسبقية في قتال الخوارج، وهذا من رحمة الله عز وجل بهذه الأمة، بأن هيّأ قلب علي لقتال الخوارج، وإلا لكان الأمر فيه شبهة عدم قتالهم بسبب إسلامهم، يقول الكاساني:

(وكذا قاتل سيدنا علي أهل حروراء بالنهروان بحضرة الصّحابة ، تصديقا لقوله لسيدنا علي: «إنك تقاتل على التأويل كما تقاتل على التنزيل»، والقتال على التأويل هو: القتال مع الخوارج، ودل الحديث على إمامة سيدنا علي رضي الله عنه؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام شبّه قتال سيدنا علي على التأويل بقتاله على التنزيل، وكان رسول الله في قتاله بالتنزيل، فلزم أن يكون سيدنا علي محقا في قتاله بالتأويل، فلو لم يكن إمام حق لما كان محقا في قتاله إياهم).([[69]](#footnote-69))

وكان قصد علي بن أبي طالب الحفاظ على الجماعة وعدم التفرق ولذا أوفد إليهم ابن عباس لعلهم يتركوا الخطأ ويرجعوا للصواب، إلا أنه لما رأى إصرارهم على ما هم عليه همّ بقتالهم وذلك للحفاظ على الاجتماع المكوّن منه ومن الصّحابة لأنه لو ترك الأمر على مصراعيه لزاد التفرق واستجاب الناس للخوارج، يقول التفتازاني:

("وفي حرب الخوارج الأمر أظهر" الأمر أظهر لأن الحكمة من نصب الإمام، وهي تألف القلوب واجتماع الكلمة كما يحصل بالقتال فقد يحصل بالتحكيم، سيما وقد شرط أن يحكم الحكمان بكتاب الله ثم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأيضا ورد النص في إصلاح الزوجين بأن يبعثوا حكما من أهله، وحكما من أهلها.

وغاية متشبثهم أن الله تعالى أوجب القتال لقوله تعالى: **(**ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ **)**([[70]](#footnote-70)) ، فلا يجوز العدول عنه إلى التحكيم.

والجواب: بعد تسليم كون الأمر للفور، أو كون الفاء الجزائية للتعقيب، أنه إنما أوجب القتال بعد إيجاب الإصلاح، وهذا إصلاح فلا يعدل عنه إلى القتال ما لم يعتذر).([[71]](#footnote-71))

وعلى هذا فقد بين علماء الحنفية أنّ عليا محق في قتال الخوارج، وأنه نال الأفضلية في قتاله الخوارج، بل وذكروا أن قتالَ عليٍّ للبغاة والخوارج استفادوا منه أحكام البغاة، كما ورد ذلك عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله حيث قال: تعلمنا من قتال علي للبغاة أحكام البغاة.

**المبحث الثالث: بيان مناصحة الصّحابة للخوارج ودعائهم للصلح قبل قتالهم:**

ذهب علماء الحنفيّة إلى أن الخوارج أو البغاة لا يُقاتلون إلا بعد دعائهم للصلح، وإيضاح ما استشكل عليهم من الأمور.

واستدلوا لذلك بفعل علي مع الخوارج فإنه لم يبدأ بقتالهم، وإنما قاتلهم بعد أن أقام الحجّة عليهم وناقشهم ونصحهم بالرّجوع إلى الحقّ وعدم التّمادي في الباطل.

فإنْ أبت البغاة والخوارج إلا المعارضة وعدم الرّجوع إلى الحقّ حينئذ جاز لإمام المسلمين أن يطهّر البلاد منهم درءا لشرهم وتحقيقا للمصلحة العامّة.

كما ذهب بعض الحنفيّة إلى أنه لو بدأ الإمام بقتالهم دون الدّعوة المسبقة لهم، جاز له ذلك بحجة استئصال الفتنة من أوّل ظهورها.

وفي الاستدلال لمناصحة الصّحابة للخوارج، ودعوتهم للصّلح أذكر أقوال علماء الحنفيّة مستدلين بواقعة علي وابن عباس مع القوم.

ذكر أبو بكر الجصاص مستدلا بآية الصلح أن الأصل عدم القتال، وإنما الدّعوة إلى الصّلح فقال:

(قال اللّه تعالى: **(**ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ**)**([[72]](#footnote-72)) أمراً عند ظهور القتال منهم بالإصلاح بينهما، وهو: أن يدعوا إلى الصّلاح والحق وما يوجبه الكتاب والسنّة والرجوع عن البغي، وقوله ﴿تعالى ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ﴾ يعنى: واللّه أعلم إن رجعت إحداهما إلى الحق وأرادت الصلاح وأدامت الأخرى على بغيها وامتنعت من الرجوع، ﴿ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ﴾ فأمر تعالى بالدعاء إلى الحق قبل القتال، ثم إن أبت الرجوع قوتلت، وكذا فعل علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه بدأ بدعاء الفئة الباغية إلى الحق واحتج عليهم، فلما أبوا القبول قاتلهم.

وفي هذه الآية دلالة: على أن اعتقاد مذاهب أهل البغي لا يوجب قتالهم ما لم يقاتلوا لأنه قال: ﴿ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ﴾، فإنما أمر بقتالهم إذا بغوا على غيرهم بالقتال، وكذلك فعل علي بن أبى طالب مع الخوارج، وذلك لأنهم حين اعتزلوا عسكره بعث إليهم عبد اللّه بن عباس فدعاهم فلما أبوا الرجوع ذهب إليهم فحاجهم فرجعت منهم طائفة وأقامت طائفة على أمرها).([[73]](#footnote-73))

ودعوة الخوارج للرجوع إلى الحق رجاء أن يقبلوا النصيحة ويكفوا عما أقدموا عليه، يقول الكاساني:

(فينبغي له أن يدعوهم إلى العدل والرجوع إلى رأي الجماعة أولا؛ لرجاء الإجابة وقبول الدعوة كما في حق أهل الحرب، وكذا روي أن سيدنا عليا لما خرج عليه أهل حروراء ندب إليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ليدعوهم إلى العدل، فدعاهم وناظرهم فإن أجابوا كفّ عنهم، وإن أبوا قاتلهم).([[74]](#footnote-74))

ولذا يستنبط من هذه الواقعة قضيّة المناصحة وإرسال العلماء الرّبانيين للخوارج والبغاة لبينوا لهم الحق ويوضحوا لهم ما أشكل عليهم من المسائل في الدين وغيره، يقول ابن الهمام:

(إذا تغلب قوم من المسلمين على بلد وخرجوا عن طاعة إمام، والناس به في أمان والطرقات آمنة، دعاهم: إلى العود إلى الجماعة، وكشف عن شبهتهم التي أوجبت خروجهم؛ لأن عليا فعل ذلك بأهل حروراء قبل قتالهم، وليس ذلك واجباً بل مستحب؛ لأنهم كمن بلغتهم الدعوة لا تجب دعوتهم ثانيا).([[75]](#footnote-75))

وقال البابرتي مستدلا بفعل علي وابن عباس رضي الله عنهما: (إنه [يعني علياً ] أنفذ ابن عباس ليكشف شبهتهم، ويدعوهم إلى العود، فلما ذكروا شبهتهم قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذه الحادثة ليست بأدنى من بيض حمام، وفيه التحكيم بقوله تعالى: **(**ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ**)**([[76]](#footnote-76))، فكان تحكيم علي موافقا للنّص، فألزمهم الحجّة فتاب البعض وأصرّ البعض).([[77]](#footnote-77))

وقال العيني بعد ذكره الباب الذي أورده البخاري "باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم":

(قوله: بعد إقامة الحجة عليهم يشير البخاري بذلك إلى أنه لا يجب قتال خارجي ولا غيره إلا بعد الإعذار عليه ودعوته إلى الحق، وتبيين ما التبس عليه فإن أبى عن الرجوع إلى الحق، وجب قتاله بدليل: الآية التي ذكرها، وقول الله تعالى: **(**ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ**)**([[78]](#footnote-78)) أشار بهذه الآية الكريمة إلى: أن قتال الخوارج والملحدين لا يجب إلا بعد إقامة الحجة عليهم، وإظهار بطلان دلائلهم، والدليل عليه هذه الآية؛ لأنها تدل على أن الله لا يؤاخذ عباده حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون).([[79]](#footnote-79))

كما أن مناصحة الإمام لهم تقتضي دفع شبهتهم وإزالة الظلم عنهم إن كانت مشروعة؛ حتى يتجنب شرهم، ويُجنب البلاد الفتن، يقول ابن النجيم:

(وكشف شبهتهم بأن: يسألهم عن سبب خروجهم، فإن كان لظلم منه أزاله، وإن قالوا: الحق معنا والولاية لنا، فهم بغاة؛ لأن عليا فعل ذلك بأهل حروراء قبل قتالهم؛ ولأنه أهون الأمرين؛ ولعل الشّر يندفع به فيبدأ به استحباباً لا وجوباً).([[80]](#footnote-80))

فما ذكره هؤلاء العلماء هو المنهج الصّحيح الذي يجب اتباعه مع أهل الأهواء والبدع؛ لأن الأغلبية منهم إنما بنوا مسائلهم على التأويل الباطل فيجب على أهل الحق إيضاح المسألة بالتي هي أحسن، يقول أمير بادشاه في قوله تعالى: **(ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ )**([[81]](#footnote-81)) : (فنناظره ، أي: الباغي لكشف شبهته ليرجع إلى طاعة الإمام بغير قتال، بعث علي بن أبي طالب ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لذلك، أي: لمناظرة أهل البغي من الخوارج.

فإن رجع إلى طاعة الإمام بالتي أي: بالخصلة التي هي أحسن، وهي إزالة الشبهة وإظهار الحق من غير قتال، فبها وإلا، أي: وإن لم يرجع إلى طاعته وجب جهاده: لقوله تعالى **(ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ)**([[82]](#footnote-82)) أي: ترجع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ، ولأن النهي عن المنكر فرض وذلك بالقتال حينئذ، ظاهر سياق الآية يدل على أن هذه الدعوة لهم قبل القتال واجبة، وإنما القتال يجب بعدها)([[83]](#footnote-83)).

**الفصل الثاني:**

**جهود علماء الحنفية في الردّ على الخوارج في مسألة الصفات وإنكارهم بعض أحكام الدين.**

**وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول:**

**إنكار بعض الخوارج رؤية الله يوم القيامة، والقول بخلق القرآن، وردّ علماء الحنفية عليهم، وفيه مطلبان.**

**المبحث الثاني:**

**إنكار بعض الخوارج بعض أحكام الدين، ورد علماء ا لحنفية عليهم، وفيه خمسة مطالب.**

**المبحث الأول:**

**إنكار بعض الخوارج رؤية الله يوم القيامة، والقول بخلق القرآن، ورد علماءالحنفية عليهم.**

**المطلب الأول: قول بعض الخوارج بأن رؤية الله مستحيلة يوم القيامة، وردّ علماء الحنفية عليهم.**

**المطلب الثاني: قول بعض الخوارج بخلق القرآن وردّ علماء الحنفية عليهم.**

**المطلب الأول: قول بعض الخوارج بأن رؤية الله مستحيلة يوم القيامة، وردّ علماء الحنفيّة عليهم:**

مما يعتقد أهل السنّة والجماعة في باب الأسماء والصفات رؤية الله يوم القيامة عياناً، وهذه ميزة تفضّل الله بها أهل الإيمان نتيجة أعمالهم الصالحة في الدّنيا، بل هي أعظم نعمة تُعطى للمؤمنين يوم القيامة ما بعدها نعمة، كما في الحديث الصحيح **«إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا, ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار, فيكشف الحجاب فما أُعطوا شيئاَ أحب إليهم من النظر الى ربهم, ثم تلا هذه الآية (**ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ**)**([[84]](#footnote-84)) **»**([[85]](#footnote-85)).

بل ومسألة رؤية الله يوم القيامة تعتبر من أهم المسائل في الدين ومن أصوله، يقول ابن ابي العزّ: (وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمّر إليها المشمّرون وتنافس المتنافسون، وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مردودون).([[86]](#footnote-86))

فالحنفيّة الحقّة وافقوا السلف في معظم أبواب الاعتقاد، ومنها مسألة الرؤية ومسألة القول بعدم خلق القرآن عند الرد على الجهمية وغيرهم القائلين بخلق القرآن، قال البزدوي:

(وقد صحّ عن أبي يوسف أنه قال: "ناظرت أبا حنيفة في مسألة خلق القرآن ستة أشهر فاتفق رأي ورأيه على أن من قال: بخلق القرآن فهو كافر"، وصحّ هذا القول عن محمد رحمه الله، ودلت المسائل المتفرقة عن أصحابنا في المبسوط وغير المبسوط على: أنهم لم يميلوا إلى شيء من مذاهب الاعتزال وإلى سائر الأهواء.

وأنهم قالوا بحقية رؤية الله تعالى بالأبصار في دار الآخرة، وبحقية عذاب القبر لمن شاء، وحقية خلق الجنة والنار اليوم، حتى قال أبو حنيفة لجهم: اخرج عني يا كافر، وقالوا بحقية سائر أحكام الآخرة على ما نطق به الكتاب والسنّة، وهذا فصل يطول تعداده).([[87]](#footnote-87))

ومن هنا فقد ذهب أهل الحق من الحنفيّة إلى إثبات هذه الصفة لله تعالى بلا كيفية، وهم استندوا في قولهم إلى أدلة من القرآن وأخرى من السنّة في إثبات رؤيته سبحانه وتعالى بلا تشبيه ولا تمثيل.

أما الخوارج فلا يؤمنون برؤية الله يوم القيامة فهم كغيرهم من الفرق الهالكة التي لم تثبت رؤية الله تعالى عيانا يوم القيامة، يقول ابن أبي العزّ:

(المخالف في الرؤية: الجهمية والمعتزلة، ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنّة، وقد قال بثبوت الرؤية الصّحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنّة والجماعة).([[88]](#footnote-88))

وحجة الخوارج في ذلك: التأويل الفاسد الذي أدى بهم إلى المهالك، حيث قالوا: إن إثبات الرؤية يلزم منها المشابهة والمماثلة مع المخلوقين، ولم يفهموا أن الله تعالى ليس كمثله شيء، فلا يشبهه شيء، قال ابن أبي العزّ رحمه الله موردا أدلة الرؤية ورادّاً على المنكرين لها:

(وقد ذكر الشيخ [يعني أباجعفر] رحمه الله من الأدلة قوله تعالى: **(**ﭙ ﭚ ﭛ**)**([[89]](#footnote-89)) **(**ﭝ ﭞ ﭟ**)**([[90]](#footnote-90)) ، وهي من أظهر الأدلة، وأمّا مَنْ أبى إلا تحريفها بما يسمّيه تأويلا: فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب أسهل من تأويلها على أرباب التأويل، ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص). ثم ذكر أن الذي أدى بهم إلى نفي الصفات هو التأويل الفاسد، فقال:

(وهذا الذي أفسد الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذّرنا الله أن نفعل مثلهم وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية؟ فهل قتل عثمان إلا بالتأويل الفاسد؟...). ثم استدل رحمه الله بأدلة عديدة على ثبوت الرؤية للمؤمنين يوم القيامة، وهي كالتالي:

أولا: استدلاله بقوله تعالى: **(**ﭙ ﭚ ﭛ**)**([[91]](#footnote-91)) **(**ﭝ ﭞ ﭟ**)**([[92]](#footnote-92)).

وجه الاستدلال أن الله أضاف النظر إلى نفسه وعدّاه بإلى، حيث قال ابن أبي العز:

(وإضافة النّظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة "إلى" الصريحة في نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه حقيقة موضوعة صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله.

فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه: فإن عدي بنفسه فمعناه : التوقف والإنتظار: **(**ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ**)**([[93]](#footnote-93)).

وإن عدي بـفي فمعناه: التفكر والاعتبار كقوله: **(**ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ**)**([[94]](#footnote-94)).

وإن عدي بـإلى فمعناه: المعاينة بالأبصار كقوله تعالى: **(**ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ**)**([[95]](#footnote-95))، فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟..

قال أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: **(**ﭝ ﭞ ﭟ**)**([[96]](#footnote-96)). قال: تنظر إلى وجه ربها عزّ و جل، وقال عكرمة: **(**ﭙ ﭚ ﭛ**)**([[97]](#footnote-97)). قال: من النعيم **(**ﭝ ﭞ ﭟ**)**([[98]](#footnote-98)) قال: تنظر إلى ربها نظرا ثم حكى عن ابن عباس مثله، وهذا قول المفسرين من أهل السنّة والحديث)([[99]](#footnote-99)).

ثانيا: استدلاله بقوله تعالى: **(**ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ**)**([[100]](#footnote-100)) .

وجه الاستدلال: استدلال الصحابة بالزيادة على أن المراد بها، رؤية الله تعالى فقال:

(وقال تعالى: **(**ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ**)**، فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله والصّحابة([[101]](#footnote-101)) من بعده.

كما روى مسلم في صحيحه عن صهيب قال: قرأ رسول الله : **(**ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ**)**([[102]](#footnote-102))، قال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة»**([[103]](#footnote-103))، ورواه غيره بأسانيد متعددة وألفاظ أخر معناها: أن الزيادة النظر إلى وجه الله عزّ وجل، وكذلك فسرها الصّحابة ، روى ابن جرير([[104]](#footnote-104)) ذلك عن جماعة منهم: أبو بكر الصديق رضي الله عنه وحذيفة وأبو موسى الاشعري وابن عباس رضي الله عنهم)([[105]](#footnote-105)).

**ثالثا: استدلاله بقوله تعالى: (**ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ**)**([[106]](#footnote-106))**.**

وجه الاستدلال: إبعاد الكافرين عن رؤية الله دليل واضح على رؤية المؤمنين له سبحانه، حيث قال:

(وقال تعالى: **(**ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ **)** احتج الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على: الرؤية لأهل الجنة ذكر ذلك الطبري وغيره...

قال الشافعي: "لما أن حجب هؤلاء في السخط؛ كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى"([[107]](#footnote-107)))([[108]](#footnote-108)).

ثم ذكر ابن أبي العز استدلالات أهل البدع بالنصوص في نفي الرؤية وأجاب عنها، وهي:

**أولا: استدلالهم بقوله تعالى: (**ﯝ ﯞ**)**([[109]](#footnote-109))**.**

وقد ردّ ابن أبي العز عليهم بحجج متنوعة وذكر أن الآية دليل عليهم في إثبات الرؤية، فقال:

(وأما استدلال المعتزلة بقوله تعالى: **(**ﯝ ﯞ**)**، وبقوله تعالى: **(**ﭥ ﭦ ﭧ**)**([[110]](#footnote-110)) ، فالآيتان دليل عليهم:

أما الآية الأولى: فالاستدلال منها على ثبوت رؤيته من وجوه:

أحدها: أنه لا يُظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه؛ بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله وقال: **(**ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ**)**([[111]](#footnote-111)).

الثالث: أنه تعالى قال: ﴿لن تراني﴾ ولم يقل: اني لا أرى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي، والفرق بين الجوابين ظاهر: ألا ترى أن من كان في كمه حجر فظنه رجل طعاما فقال: أطعمنيه فالجواب الصحيح: أنه لا يؤكل أما إذا كان طعاما صح أن يقال: إنك لن تأكله، وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي؛ ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: **(**ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ**)**([[112]](#footnote-112)) فأعلمه: أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟.

الخامس: أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقرا وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالا لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام والكل عندهم سواء.

السادس: قوله تعالى: **(**ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ**)**([[113]](#footnote-113)) فإذا جاز: أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسوله وأوليائه في دار كرامته؟ ولكن الله أعلم موسى: أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

السابع: أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة؛ فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه وقد جمعوا بينهما.

وأما دعواهم [ما زال الكلام لابن أبي العز]: تأييد النفي بـ لن، وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة: ففاسد، فإنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلقت؟ قال تعالى: **(**ﭣ ﭤ ﭥ**)**([[114]](#footnote-114)) مع قوله: **(**ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ**)**([[115]](#footnote-115)) ؛ ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك قال تعالى: **(**ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ**)**([[116]](#footnote-116)) فثبت أن لن لا تقتضي النفي المؤبد..)([[117]](#footnote-117)).

**ثانيا: استدلالهم بقوله تعالى: (**ﭥ ﭦ ﭧ**)**([[118]](#footnote-118))

وجه الاستدلال: قالوا: إن الله تعالى قد نفى الرؤية عن نفسه فدلّ ذلك على عدم رؤيته تعالى.

وقد ردّ عليهم ابن أبي العزّ بأنْ ليس في الآية ما يدل على نفي الرؤية، وإنما هي في مضمونها ترد على المخالفين، بدليل أن الله لا يوصف إلا بصفات التمدح في الإثبات، على وجه التفصيل، وفي النفي على وجه الإجمال، إذ أنّ الأكمل في النفي الإجمال، مما دلّت على أن الآية تضمنت إثبات الرؤية، فقال:

(وأما الآية الثانية: فالاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف وهو: أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال: فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمرا وجوديا: كمدحه: بنفي السنّة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال الربوبية والألوهية...

ولهذا لم يتمدح بعدم محض لم يتضمن أمرا ثبوتيا؛ فإن العدم يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فإن المعنى: أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به فقوله: **(**ﭥ ﭦ ﭧ**)** يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به.

فإن الإدراك هو: الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى: **(**ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ **)** ﴿ قال كلا﴾([[119]](#footnote-119)) ، فلم ينف موسى الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرّب تعالى يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به علما، وهذا هو الذي فهمه الصّحابة والأئمة من الآية كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية؛ بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه)([[120]](#footnote-120)). ثم ذكر الأحاديث الواردة في رؤيته تعالى يوم القيامة فقال:

(وأما الأحاديث عن النبي وأصحابه الدّالة على الرؤية فمتواترة: رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسّنن فمنها:

حديث أبي هريرة: أن ناسا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله : **«هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا؟ قال: فإنكم ترونه كذلك»**([[121]](#footnote-121))..

وحديث جرير بن عبد الله البجلي...قال: **«كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه و سلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته»**([[122]](#footnote-122))...). ثم ذكر الأحاديث الأخرى وقال:

(وقد روى أحاديث الرؤية نحو: ثلاثين صحابيا، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها، ولولا أني التزمت الاختصار لسقت ما في الباب من الأحاديث، ومن أراد الوقوف عليها فليواظب سماع الأحاديث النبوية فإن فيها مع إثبات الرؤية: أنه يُكلّم من شاء إذا شاء، وأنه يأتي لفصل القضاء يوم القيامة، وأنه فوق العالم وأنه يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، وأنه يتجلى لعباده وأنه يضحك إلى غير ذلك من الصفات التي سماعها على الجهمية بمنزلة الصواعق.

وكيف تعلم أصول دين الإسلام من غير كتاب الله وسنة رسوله؟ وكيف يفسر كتاب الله بغير ما فسره به رسوله وأصحابه رضوان الله عليهم الذين نزل القرآن بلغتهم...)([[123]](#footnote-123)).

ثم ذكر ان معظم من تكلم في أصول الدين إنما العمدة عنده قول فلان ورأيه فقال:

(وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنّة وإنما يتلقاه من قول فلان! وإذا زعم: أنه يأخذه من كتاب الله لا يتلقى تفسير كتاب الله من أحاديث الرسول، ولا ينظر فيها، ولا فيما قاله الصّحابة والتابعون لهم بإحسان المنقول إلينا عن الثقات النقلة الذين تخيرهم النقاد، فانهم لم ينقلوا نظم القرآن وحده بل نقلوا نظمه ومعناه، ولا كانوا يتعلمون القرآن كما يتعلم الصبيان؛ بل يتعلمونه بمعانيه، ومن لا يسلك سبيلهم فإنما يتكلم برأيه ومن يتكلم برأيه وما يظنه دين الله ولم يتلق ذلك من الكتاب فهو مأثوم، وإن أصاب ومن أخذ من الكتاب والسنّة فهو مأجور، وإن أخطأ، لكن إن أصاب يضاعف أجره).([[124]](#footnote-124))

وهذا ما يجب اعتقاده في ذات الله سبحانه وتعالى، فإن كل ما أثبته سبحانه وتعالى من الأسماء والصفات يجب إثباتها لله تعالى بلا كيفية، يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله:

(لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه، ولا يقول فيه برأيه شيئاً تبارك الله تعالى ربّ العالمين).([[125]](#footnote-125))

وقد أكّد غير واحد من الحنفيّة ضرورة إثبات الصفات وأخذها من الكتاب والسنّة، دون الكلام فيها بالأهواء والظنون، يقول البزدوي: (العلم نوعان:

علم التوحيد والصفات، وعلم الشرائع والأحكام.

والأصل في النوع الأول هو التمسُّك بالكتاب والسنّة ومجانبة الهوى والبدعة ولزوم طريق السنّة والجماعة، وهو الذي عليه أدركنا مشايخنا وكان على ذلك سلفنا أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وعامة أصحابهم).([[126]](#footnote-126))

وأكّدوا كذلك أن السّلف لم يكن دأبهم التأويل في الصفات، بل كانوا يثبتون الأسماء والصفات وينفون الكيفيّة، يقول أبو الثناء الألوسي: (أنت تعلم: أن طريقة كثير من العلماء الأعلام وأساطين الإسلام: الإمساك عن التأويل مطلقاً، مع نفي التَّشبيه والتجسيم. منهم الإمام أبو حنيفة، والإمام مالك، والإمام أحمد، والإمام الشافعيَّ، ومحمد بن الحسن...).([[127]](#footnote-127))

هذا وقد أكّد كثير من علماء الحنفيّة إثبات الرؤية وتبديع منكريها، وممن أكد ذلك:

* الإمام أبو جعفر الطحاوي حيث قال: (والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا : **(**ﭙ ﭚ ﭛ**)** **(**ﭝ ﭞ ﭟ**)**([[128]](#footnote-128)) وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله فهو كما قال ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فانه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عزّ وجل ولرسوله ورد علم ما أشتبه عليه إلى عالمه).([[129]](#footnote-129))
* وقال أبو المحاسن إمام زاده: (ومن السنّة: أن يرى لقاء الله تعالى بالمجازاة حقا، ورؤيته بالأبصار جائزة، وعداً لأهل الإيمان، ويرى إدراكه ممتنعا بدفعه كبريائه وعظمته).([[130]](#footnote-130))
* وقال السرخسي: (وبيان ما ذكرنا من معنى المتشابه من مسائل الاصول أن رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة حق معلوم ثابت بالنص...

والمعتزلة -خذلهم الله-؛ لاشتباه الكيفية عليهم أنكروا الاصل، فكانوا معطلة بإنكارهم صفات الله تعالى، وأهل السنّة والجماعة - نصرهم الله - أثبتوا ما هو الاصل المعلوم بالنص وتوقفوا فيما هو المتشابه وهو الكيفية، فلم يجوزوا الاشتغال بطلب ذلك كما وصف الله تعالى به الراسخين في العلم فقال: **(**ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ**)**([[131]](#footnote-131)) ).([[132]](#footnote-132))

* وقال العيني بعد ذكره بعض أحاديث الرؤية: (استدل بهذه الأحاديث وبالقرآن وإجماع الصّحابة ومن بعدهم على: إثبات رؤية الله في الآخرة للمؤمنين، وقد روى أحاديث الرؤية أكثر من عشرين صحابيا). ثم ذكر أسماء الصّحابة الذين رووا أحاديث الرؤية ثم قال:

(ومنع من ذلك المعتزلة والخوارج، وبعض المرجئة واحتجوا في ذلك بوجوه).([[133]](#footnote-133)) ثم ذكر شبههم في نفي الرؤية وقد مضت معظمها في كلام ابن أبي العزّ.

* وقال ملا علي بعد ذكره قول الإمام مالك: "الاستواء معلوم والكيف مجهول…"([[134]](#footnote-134)): (اختاره إمامنا الأعظم – أي أبو حنيفة – وكذا كل ما ورد من الآيات والأحاديث المتشابهات من ذكر اليد والعين والوجه ونحوها من الصفات.

فمعاني الصفات كلها معلومة وأما كيفيتها فغير معقولة؛ إذْ تَعقُّل الكيف فرع العلم لكيفية الذات وكنهها. فإذا كان ذلك غير معلوم؛ فكيف يعقل لهم كيفية الصفات. والعصمة النَّافعة من هذا الباب أن يصف الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يثبت له الأسماء والصفات وينفي عنه مشابهة المخلوقات، فيكون إثباتك منزهاً عن التشبيه، ونفيك منزَّهاً عن التعطيل. فمن نفى حقيقة الاستواء فهو معطل ومن شبَّهه باستواء المخلوقات على المخلوق فهو مشبِّه، ومن قال استواء ليس كمثله شيء فهو الموحِّد المنزه).([[135]](#footnote-135))

هذه بعض نصوص علماء الحنفيّة في إثبات رؤية الله يوم القيامة عيانان كما يليق به سبحانه، وهذه الأقوال المنقولة عن الحنفيّة هي في الحقيقة تخالف ما عليه الحنفيّة المبتدعة سواء أكانوا من المعتزلة أو الماتريدية إذ بعضهم لا يثبون الرؤية بحجة التشبيه مع الخلق أو إثبات الجهة والمكان لله سبحانه، بينما الآخرون منهم يثبتون الرؤية لكن لا يقولون بالجهة والمحازاة.

ثم إنّ الأئمة والمتقدمين من علماء المذاهب لم يكن لديهم اختلاف في مسائل العقيدة فمعتقدهم واحد في باب الاعتقاد، يقول صديق حسن خان:

(فمذهبنا مذهب السلف إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل، وهو مذهب أئمة الإسلام، كمالك، والشافعي، والثوري، وابن المبارك، والإمام أحمد...وغيرهم، فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع في أصول الدين، وكذلك أبو حنيفة رضي الله عنه فإن الاعتقاد الثابت عنه موافق لاعتقاد هؤلاء، وهو الذي نطق به الكتاب والسنّة...).([[136]](#footnote-136))

والحق ما عليه الإمام أبو حنيفة وأتباعه الذين وافقوا السلف في إثبات الرؤية لله تعالى كما يليق به سبحانه، حيث إن الأدلة قد تواترت في الرؤية مما يدل دلالة واضحة على أنها واقعة لا محالة، إلا أن أهل البدع لم يثبتوها أو أثبتوها لكن مع قيود تنافي الرؤية.

**المطلب الثاني: قول بعض الخوارج بخلق القرآن ورد علماء الحنفيّة عليهم:**

يعقتد أهل السنة والجماعة بأن القرآن كلام الله عزّ وجلّ غير مخلوق، وهذا معتقد أهل الحق من الحنفية وغيرهم يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله: (ونقر بأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق).([[137]](#footnote-137))

أما الخوارج فقد خالفوا الكتاب والسنّة ولم يثبتوا لله عزّ وجلّ كلاما، وقالوا بأن القرآن مخلوق، يقول أبو الحسن الأشعري: (والخوارج جميعاً يقولون بخلق القرآن).([[138]](#footnote-138))

وقد رد الحنفيّة على الخوارج قولهم هذا، واستندوا في ذلك إلى عددٍ من الأدلة من الكتاب والسنّة وأقوال الصّحابة، في بيان أن القرآن كلام الله تعالى، وأن القول بأن القرآن مخلوق قول على الله بلا علم ومؤداه إبطال صفة الكلام لله تعالى.

وقد سبق بيانُ أنّ السلف يثبتون لله الصفات الواردة في الكتاب والسنّة بلا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل، فصفات الله عزّ وجلّ لا يتُشْبِه شيئاً من صفات خلقه، فهو ليس كمثله شيء، يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله: (وصفاته بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويسمع لا كسمعنا، ويتكلَّم لا ككلامنا...).([[139]](#footnote-139))

هذه هي عقيدة السلف قاطبة في الله عزّ وجلّ، أما المؤولون والمحرّفون فقد عطّلوا الله عزّ وجلّ عن صفاته وأسمائه وجعلوه كالعدم.

فصفة الكلام صفة ذاتية وفعلية لله تعالى لأنه سبحانه ما زال ولا يزال متصفا بها يتكلم متى شاء بما شاء.

وما أثبته أبو حنيفة من إثبات صفة الكلام وغيرها من الصفات الواردة في حقّه سبحانه هو عقيدة علماء الإسلام من كل المذاهب الإسلامية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

(ولكن من رحمة الله بعباده، أن الأئمة الذين لهم في الأمة لسان صدق كالأئمة الأربعة وغيرهم.....

كانوا ينكرون على أهل الكلام من الجهمية قولهم في القرآن والإيمان وصفات الرب، وكانوا متّفقين على ما كان عليه السلف من أن الله يرى في الآخرة وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الإيمان لا بد فيه من تصديق القلب واللسان...).([[140]](#footnote-140))

وقال أيضا: (إن الأئمة المشهورين كلهم يثبتون الصفات لله تعالى ويقولون: إن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ويقولون: إن الله يرى في الآخرة، هذا مذهب الصّحابة والتابعين لهم بإحسان من أهل البيت وغيرهم، وهذا مذهب الأئمة المتبوعين، مثل مالك بن أنس، والثوري([[141]](#footnote-141))، والليث بن سعد، والأوزاعي، وأبي حنيفة، والشافعي وأحمد..).([[142]](#footnote-142))

وبناء على ذلك فقد انطلق أهل الحق من الحنفية إلى القول بأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، مخالفين في ذلك ما ذهب إليه أهل البدع من الخوارج وغيرهم من أصحاب المذاهب الذين أنكروا صفة الكلام لله تعالى:

قال أبو جعفر الطحاوي: (وإن القرآن كلام الله: منه بدا بلا كيفية قولا وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا: أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوقٍ ككلام البرية، فمن سمعه فزعم: أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمّه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى : **(**ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ**)**([[143]](#footnote-143)) علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر).([[144]](#footnote-144))

وقال شارح الطحاوية رادا على من قال بخلق القرآن: (وهذا الذي حكاه الطحاوي رحمه الله هو الحق الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنّة لمن تدبرهما، وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة....)([[145]](#footnote-145)).

وقد رد ابن أبي العزر على المخالفين وبما استدلوا به بأوجه مختلفة:

**أولا: استدلال المخالفين بأن إضافة الكلام لله تعالى إنما هي من باب إضافة تشريف، كبيت الله وناقة الله.**

وقد ردّ عليهم ابن أبي العز بعدة أوجه:

1. أن المضاف إلى الله على أنواع منها إضافة إعيان، ومنها إضافة معاني، والصفات من هذا الباب الثاني، حيث قال:

(وقوله: كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا: ردٌ على المعتزلة وغيرهم، فإن المعتزلة تزعم: أن القران لم يبدأ منه كما تقدم حكاية قولهم، قالوا: وإضافته إليه اضافة تشريف كبيت الله وناقة الله يحرفون الكلام عن مواضعه.

وقولهم باطل؛ فإن المضاف إلى الله تعالى معان وأعيان: فإضافة الأعيان الى الله للتشريف، وهي مخلوقة له؛ كبيت الله وناقة الله، بخلاف إضافة المعاني؛ كعلم الله وقدرته وعزّته وجلاله وكبريائه وكلامه وحياته وعلوه وقهره؛ فإن هذا كله من صفاته لا يمكن أن يكون شيء من ذلك مخلوقا)([[146]](#footnote-146)).

1. أن الاتصاف بصفة الكلام هو في حد ذاته مدح، بينما عكسه صفة ذم، والله منزَّه عن الذم، فقال:

(والوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص قال تعالى: **(**ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ**)**([[147]](#footnote-147)) فكان عباد العجل - مع كفرهم - أعرف بالله من المعتزلة، فإنهم لم يقولوا لموسى: وربك لا يتكلم أيضا. وقال تعالى عن العجل أيضا: **(**ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ**)**([[148]](#footnote-148)) فعلم أن نفي رجوع القول ونفي التكلم نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل)([[149]](#footnote-149)).

**ثانيا: قالوا: يلزم من إثبات صفة الكلام لله تعالى التشبيه.**

وقد رد عليهم ابن أبي العز أن إثبات الصفات لله لا يلزم منه التشبيه لأن الله ليس كمثله شيء، فقال:

(وغاية شبهتهم أنهم يقولون: يلزم منه التشبيه والتجسيم؟ فيقال لهم: إذا قلنا إنه تعالى يتكلم كما يليق بجلاله انتفت شبهتهم ألا ترى أنه تعالى قال: **(**ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ**)**([[150]](#footnote-150)) فنحن نؤمن أنها تتكلم ولا نعلم كيف تتكلم، وكذا قوله تعالى: **(**ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ**)**([[151]](#footnote-151)) وكذلك تسبيح الحصا والطعام وسلام الحجر كل ذلك بلا فم يخرج منه الصوت الصاعد من لديه المعتمد على مقطع الحروف

وإلى هذا أشار الشيخ رحمه الله بقوله: منه بدا بلا كيفية قولاً، أي: ظهر منه ولا ندري كيفية تكلّمه به، وأكد هذا المعنى بقوله: "قولا" أتى بالمصدر المعرف للحقيقة، كما أكد الله تعالى التكليم بالمصدر المثبت النافي للمجاز في قوله: **(**ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ**)**([[152]](#footnote-152)) فماذا بعد الحق إلا الضلال؟...)([[153]](#footnote-153)). ثم ذكر الأدلة الورادة على صفة الكلام لله تعالى من القرآن والسنّة.

ثم ذكر أن كلامه سبحانه لأهل الجنة أعظم نعيم، وفي رده إنكار أعظم نعيم في الجنة فقال:

(وقال البخاري في صحيحه([[154]](#footnote-154)): باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة وساق فيه عدة أحاديث، فأفضل نعيم أهل الجنة: رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذي ما طابت لأهلها إلا به)([[155]](#footnote-155)). إلى أن قال:

(وبالجملة فأهل السنّة كلهم من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف متفقون على أن كلام الله غير مخلوق...)([[156]](#footnote-156)).

ثم ذكر ابن أبي العز أن سبب انحراف أهل البدع هو فساد فطرهم، فقال:

(ولو ترك الناس على فطرهم السليمة وعقولهم المستقيمة، لم يكن بينهم نزاع؛ ولكن ألقى الشيطان إلى بعض الناس أغلوطة من أغاليطه فرق بها بينهم **(**ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ**)**([[157]](#footnote-157)) والذي يدل عليه كلام الطحاوي رحمه الله: أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء كيف شاء، وأن نوع كلامه قديم وكذلك ظاهر كلام الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه في الفقه الأكبر فإنه قال:

والقرآن في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي منزّل، ولفظنا بالقرآن مخلوق، والقرآن غير مخلوق، وما ذكر الله في القرآن عن موسى عليه السلام وغيره، وعن فرعون وإبليس فإن ذلك كلام الله إخبارا عنهم، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق، والقرآن كلام الله لا كلامهم، وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى، فلما كلّم موسى كلمه بكلامه الذي هو من صفاته لم يزل، وصفاته كلّها خلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا ويتكلم لا ككلامنا انتهى).([[158]](#footnote-158))

بل ثبت عن أئمة الحنفيّة القول بكفر من قال بخلق القرآن، أو تبديع صاحبه، حيث نقل البزدوي عن أبي يوسف ومحمد بن الحسن التكفير فقال: (قد صحّ عن أبي يوسف أنه قال: ناظرت أبا حنيفة في مسألة خلق القرآن ستة أشهر فاتفق رأيي ورأيه على أن من قال: بخلق القرآن فهو كافر، وصح هذا القول عن محمد رحمه الله).([[159]](#footnote-159))

وقال أبو يوسف: (القرآن كلام الله من قال كيف؟ ولم؟ وتعاطى مراءً ومجادلة، استوجب الحبس والضرب بالسوط المبرح).([[160]](#footnote-160))

وقد ذكر الإمام اللالكائي غير واحد من أئمة الحنفيّة نصُّوا على كفر من قال بخلق القرآن، ومنهم يحيى بن زكريا بن أبي زائدة([[161]](#footnote-161))، وآخرون.([[162]](#footnote-162))

وقال البزدوي في قوله تعالى: **(**ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ**)**([[163]](#footnote-163)) : (وهذا عندنا على أنه أريد به ذكر الأمر بهذه الكلمة والتكلم بها على الحقيقة لا مجازاً عن الإيجاد؛ بل كلام بحقيقته من غير تشبيه ولا تعطيل).([[164]](#footnote-164))

وقال السرخسي: (إن المعجز كلام الله, وكلام الله تعالى غير محدث ولا مخلوق, والألسنة كلُّها محدثةٌ : العربيةُ, والفارسيةُ, وغيرُهما..).([[165]](#footnote-165))

وقال أيضا: ( ولا شكّ أن السنّة لا تكون مِثْلاً للقرآن ولا خيرا منه, والقرآن كلام الله غير محدث ولا مخلوق, وهو معجز, والسنّة كلامُ مخلوق, وهو غير معجز).([[166]](#footnote-166))

وقال جمال الدين الغزنوي: (القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، وهو مكتوب في المصاحف، مقروء بالالسنة، محفوظ في القلوب، غير حال فيها كما تقول: إن الله تعالى مذكور بالألسن، معلوم في القلوب، معبود في المساجد غير حال فيها.

فالمراد بقولنا: إن القرآن كلام الله تعالى المقروء دون القراءة التي هي فعل العبد؛ لأن القرآن في اللغة وإن كان عبارة عن القراءة حقيقة لكان جاز أن يذكر ويراد به المقروء.

وعلى هذا قال مشايخنا لا يجوز أن يقال القرآن غير مخلوق ولكن يجب أن يقال القرآن الذي هو كلام الله غير مخلوق).([[167]](#footnote-167))

ونقل ابن النجيم كلام أصحاب الفتاوى بكفر من قال بخلق القرآن، فقال: (وفي البزارية: قال علماؤنا: من قال أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر، ومن قال بخلق القرآن فهو كافر).([[168]](#footnote-168))

وأيضا في الفتاوى الهندية: (ومن قال بخلق القرآن فهو كافر..).([[169]](#footnote-169))

وبذلك يتبين مما سبق بطلان قول الخوارج بخلق القرآن، وأنّ المعتقد الصحيح في ذلك هو قول أهل الحق من الحنفيّة وغيرهم بأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، ومن قال بخلقه فقد ضلّ سواء السبيل.

وما ذهب إليه الحنفيّة في الرد على الخوارج من إثبات أن القرآن غير مخلوق هو مذهب السلف قاطبة، يقول ابن تيمية:

(وهذا مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصّحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين، كالأئمة الأربعة، وغيرهم ما دل عليه الكتاب والسنّة.

وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله منزّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل، وغير ذلك من كلامه ليس مخلوقا منفصلا عنه.

وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته ولم يقل أحد منهم إن القرآن والتوراة والإنجيل لازمة لذاته أزلا وأبدا، وهو لا يقدر أن يتكلم بمشيئته وقدرته).([[170]](#footnote-170))

الفهارس الألفبائية المتنوعة

ع- أحمد بن محمد بن محمود بن سعيد الغزنوي - 641 -

فهرس الآثار

النظر إلى وجه الله عزّ وجل - 677 -

إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد - 646 -

فهرس الأعلام

سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله، الثوري - 690 -

محمد شفيع بن محمد يسين الديوبندي - 651 -

يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، الحافظ، العلم - 696 -

فهرس الحديث

إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله - 673 -

خير الناس قرني ثم الذين يلونهم - 645 -

كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه و سلم فنظر - 682 -

لا تسبوا أحدا من أصحابي - 645 -

لا يحبهم إلا مؤمن - 640 -

لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة - 638 -

هل تضارون في رؤية القمر - 682 -

1. () مناقب الشافعي للبيهقي: 1/447. [↑](#footnote-ref-1)
2. () سورة التوبة:100. [↑](#footnote-ref-2)
3. () سورة الفتح:18. [↑](#footnote-ref-3)
4. () أخرجه أبو داود في سننه:4/344، والترمذي في الجامع: 5/ 695 وقال: "هذا حديث حسن صحيح" والنسائي في سننه: 2 / 310، والإمام أحمد: 23 / 93، وابن حبان في صحيحه: 11/127. وصححه الترمذي، وابن حبان، وصححه أيضا شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد. [↑](#footnote-ref-4)
5. () روح المعاني: 26/108. [↑](#footnote-ref-5)
6. () العقيدة الطحاوية: 57. [↑](#footnote-ref-6)
7. () مناقب أبي حنيفة للمكي: ص: 76، والجواهر المضية: 2/469. [↑](#footnote-ref-7)
8. () الفقه الأكبر: ص: 42-43. [↑](#footnote-ref-8)
9. () الانتقاء في فضائل الفقهاء، ص: 163. [↑](#footnote-ref-9)
10. () مسند أبي حنيفة: 23. [↑](#footnote-ref-10)
11. () أخبار أبي حنيفة وأصحابه: 19-11، الجواهر المضية: 2/250. [↑](#footnote-ref-11)
12. () وصية الإمام أبي حنيفة مع شرح البابرتي: 108. [↑](#footnote-ref-12)
13. () البخاري في بدء الوحي، باب حب الأنصار من الإيمان: 5/32، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان: 1/60. [↑](#footnote-ref-13)
14. () فضائل أبي حنيفة وأصحابه ص180. [↑](#footnote-ref-14)
15. () العقيدة الطحاوية، ص: 58. [↑](#footnote-ref-15)
16. () بدائع الصنائع: 5/117. [↑](#footnote-ref-16)
17. () العقائد النسفية: ص: 29. [↑](#footnote-ref-17)
18. () هو أحمد بن محمد بن محمود بن سعيد الغزنوي، من كبار فقهاء الحنفـــية، صاحب التصانيف الكثيرة، منها: أصول الدين المسمى بروضة المتكلمين، وكتاب روضـــة اختلاف العلماء، وغيرها، مات بحلب بعد سنة(593هـ). (انظر: الجواهر المضية 1/315، والفوائد البهية ص 40، وتاج التراجم 104). [↑](#footnote-ref-18)
19. () أصول الدين ص 289-292. [↑](#footnote-ref-19)
20. () المسايرة:2/ 132. [↑](#footnote-ref-20)
21. () سورة التوبة:100. [↑](#footnote-ref-21)
22. () سورة الفتح:29. [↑](#footnote-ref-22)
23. () سورة الفتح:18. [↑](#footnote-ref-23)
24. () كشف الأسرار: 2/710. [↑](#footnote-ref-24)
25. () سورة التوبة:100. [↑](#footnote-ref-25)
26. () سورة الفتح:29. [↑](#footnote-ref-26)
27. () سورة الفتح:18. [↑](#footnote-ref-27)
28. () سورة الأنفال:72. [↑](#footnote-ref-28)
29. () سورة الحديد:10. [↑](#footnote-ref-29)
30. () سورة الحشر: آية: 8،9،10. [↑](#footnote-ref-30)
31. () البخاري في بدء الوحي، باب مناقب أبي بكر: 5/8، ومسلم في باب تحريم سب الصحابة: 7/188. [↑](#footnote-ref-31)
32. () البخاري، في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب فضائل أصحاب النبي: 5/3 ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم: 7/185. [↑](#footnote-ref-32)
33. () سورة التوبة:117. [↑](#footnote-ref-33)
34. () رواه أحمد في المسند: 6/84، والطبراني في الكبير: 9/112، والبزار في المسند: 5/212. قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون. مجمع الزوائد: 1/428، وقال الزيلعي: غَرِيبٌ مَرْفُوعًا، وَلَمْ أَجِدْهُ إلَّا مَوْقُوفًا عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ، وَلَهُ طُرُقٌ. نصب الراية: 4/133، وقال الألباني: لا أصل له مرفوعا، وإنما ورد موقوفا على ابن مسعود. سلسلة الأحاديث الضعيفة: 2/17. [↑](#footnote-ref-34)
35. () شرح العقيدة الطحاوية: ص: 528-532. [↑](#footnote-ref-35)
36. () سورة الحديد:10. [↑](#footnote-ref-36)
37. () المعتصر من المختصر من مشكل الآثار: 2/333. [↑](#footnote-ref-37)
38. () سورة الحشر:10. [↑](#footnote-ref-38)
39. () مرقاة المفاتيح: 11/152-153. [↑](#footnote-ref-39)
40. () مرقاة المفاتيح: 10/87-88. [↑](#footnote-ref-40)
41. () ليلة الصدر، هي الليلة التي ينفر الناس فيها من منى بحيث تبقى خالية لا أحد فيها، ويقصد بالمثل: تطهير الصحابة وتصفيتهم عن المعاصي قبل انتقالهم إلى الرفيق الأعلى تشبيهاً بليلة الصدر التي تخلو فيها منى عن الحجيج. انظر مجمع الأمثال 1/121، وجمهرة الأمثال لأبي الهلال العسكري 1/265. [↑](#footnote-ref-41)
42. () الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية ص 68. [↑](#footnote-ref-42)
43. () البصائر في تذكير العشائر: ص: 718-719. [↑](#footnote-ref-43)
44. () هو الشيخ محمد شفيع بن محمد يسين الديوبندي، الحنفي الماتريدي، رحل إلى ديوبند فأخذ من الشّيخ محمد أنور شاه كشميري، وعزيز الرحمن، وشبير أحمد وغيرهم، له أكثر من ثلاثمائة مصنّف من أشهرها: جواهر الفقه، وأحكام القرآن، وتفسير معارف القرآن، نفع الله بعلمه خلقا كثيرا، توفي في شهر شوال من عام ألف وثلاثمائة وست وتسعين. انظر: (أكابر علماء ديوبند، ص: 108\_24). [↑](#footnote-ref-44)
45. () أحكام القرآن: ص: 4/238. [↑](#footnote-ref-45)
46. () الفرق بين الفرق: ص: 307. [↑](#footnote-ref-46)
47. () كشف الغمة عن افتراق الأمة: 1. [↑](#footnote-ref-47)
48. () القصة بتصّرف في البداية والنهاية: 10/564، تاريخ الأمم والملوك: 5/48، الكامل في التاريخ:3/192، شرح فتح القدير لابن الهمام: 6/100-101، عمدة القاري: 12/39، منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع لابن سحمان: 46-66، والحنفية قد نقلوا بعض أجزاء القصة وممن نقل: الجصاص في أحكام القرآن: 2/323، والسرخسي في المبسوط: 10/213، وابن الهمام في فتح القدير: 6/100-101، والعيني في: عمدة القاري: 12/39. [↑](#footnote-ref-48)
49. () الملل والنحل: 115. [↑](#footnote-ref-49)
50. () القائل محمد بن الحسن انظر: السير: 228. [↑](#footnote-ref-50)
51. () المبسوط: 10/125. [↑](#footnote-ref-51)
52. () شرح فتح القدير: 6/100. [↑](#footnote-ref-52)
53. () حاشية ابن عابدين: 4/262. [↑](#footnote-ref-53)
54. () شرح الفقه الأكبر لملا علي: ص: 148. [↑](#footnote-ref-54)
55. () سورة الأنعام:57. [↑](#footnote-ref-55)
56. () سورة المائدة:95. [↑](#footnote-ref-56)
57. () سورة النساء:35. [↑](#footnote-ref-57)
58. () سورة الأحزاب:6. [↑](#footnote-ref-58)
59. () النسائي في الكبرى: 5/166، والطبراني في الكبير: 10/257، وعبد الرزاق في المصنف: 10/157، وقصة صلح الحديبية موجودة في صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط: 3/195. [↑](#footnote-ref-59)
60. () شرح فتح القدير: 6/102. [↑](#footnote-ref-60)
61. () في العناية شرح الهداية: 8/170. [↑](#footnote-ref-61)
62. () في بيان المعاني: 3/573. [↑](#footnote-ref-62)
63. () شرح الفقه الأكبر لملا علي: ص: 148. [↑](#footnote-ref-63)
64. () سورة الحجرات، 9. [↑](#footnote-ref-64)
65. () أحكام القرآن: 5/282. [↑](#footnote-ref-65)
66. () سورة الحجرات، 9. [↑](#footnote-ref-66)
67. () سبق تخريجه في ص: 605. [↑](#footnote-ref-67)
68. () المبسوط: 10/124. [↑](#footnote-ref-68)
69. () بدائع الصنائع: 7/140. [↑](#footnote-ref-69)
70. () سورة الحُجُرات:9. [↑](#footnote-ref-70)
71. () شرح المقاصد: 5/309-310. [↑](#footnote-ref-71)
72. () سورة الحُجُرات:9. [↑](#footnote-ref-72)
73. () أحكام القرآن: 5/282. [↑](#footnote-ref-73)
74. () بدائع الصنائع: 7/140. [↑](#footnote-ref-74)
75. () شرح فتح القدير: 6/101. [↑](#footnote-ref-75)
76. () سورة المائدة:95. [↑](#footnote-ref-76)
77. () العناية شرح الهداية: 8/170. [↑](#footnote-ref-77)
78. () سورة التوبة:115. [↑](#footnote-ref-78)
79. () عمدة القار: 24/84. [↑](#footnote-ref-79)
80. () البحر الرائق: 5/151. [↑](#footnote-ref-80)
81. () سورة الحُجُرات:10. [↑](#footnote-ref-81)
82. () سورة الحُجُرات:9. [↑](#footnote-ref-82)
83. () تيسير التحرير: 4/219. [↑](#footnote-ref-83)
84. () سورة يونس:26. [↑](#footnote-ref-84)
85. () رواه مسلم ـ كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة سبحانه وتعالى: 1/112. [↑](#footnote-ref-85)
86. () شرح الطحاوية: 204. [↑](#footnote-ref-86)
87. () أصول البزدودي، ص: 4. [↑](#footnote-ref-87)
88. () شرح الطحاوي، ص: 204. [↑](#footnote-ref-88)
89. () سورة القيامة:22. [↑](#footnote-ref-89)
90. () سورة القيامة:23. [↑](#footnote-ref-90)
91. () سورة القيامة:22. [↑](#footnote-ref-91)
92. () سورة القيامة:23. [↑](#footnote-ref-92)
93. () سورة الحديد:13. [↑](#footnote-ref-93)
94. () سورة الأعراف:185. [↑](#footnote-ref-94)
95. () سورة الأنعام: 99. [↑](#footnote-ref-95)
96. () سورة القيامة:23. [↑](#footnote-ref-96)
97. () سورة القيامة:22. [↑](#footnote-ref-97)
98. () سورة القيامة:23. [↑](#footnote-ref-98)
99. () شرح العقيدة الطحاوي، ص: 205. [↑](#footnote-ref-99)
100. () سورة يونس:26. [↑](#footnote-ref-100)
101. () انظر في أقوال الصحابة: شرح اعتقاد أهل السنة: 4/359-364، [↑](#footnote-ref-101)
102. () سورة يونس:26. [↑](#footnote-ref-102)
103. () سبق تخريجه في ص: 677. [↑](#footnote-ref-103)
104. () انظر تفسير الطبري: 11/104-108. [↑](#footnote-ref-104)
105. () شرح الطحاوية، ص: 206. [↑](#footnote-ref-105)
106. () سورة المطفِّفين:15. [↑](#footnote-ref-106)
107. () شرح اعتقاد أهل السنة: 3/468. [↑](#footnote-ref-107)
108. () شرح الطحاوية، 206. [↑](#footnote-ref-108)
109. () سورة الأعراف:143. [↑](#footnote-ref-109)
110. () سورة الأنعام:103. [↑](#footnote-ref-110)
111. () سورة هود:46. [↑](#footnote-ref-111)
112. () سورة الأعراف:143. [↑](#footnote-ref-112)
113. () سورة الأعراف:143. [↑](#footnote-ref-113)
114. () سورة البقرة:95. [↑](#footnote-ref-114)
115. () سورة الزُّخرُف:77. [↑](#footnote-ref-115)
116. () سورة يوسف:80. [↑](#footnote-ref-116)
117. () شرح الطحاوية: 206-208. [↑](#footnote-ref-117)
118. () سورة الأنعام:103. [↑](#footnote-ref-118)
119. () سورة الشعراء: 61-62. [↑](#footnote-ref-119)
120. () شرح الطحاوية، ص: 208-209. [↑](#footnote-ref-120)
121. () أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية: 1/112. [↑](#footnote-ref-121)
122. () أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾: 6/139، ومسلم في كتاب الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والفجر: 2/113. [↑](#footnote-ref-122)
123. () شرح الطحاوية، ص: 209-210. [↑](#footnote-ref-123)
124. () شرح الطحاوية: 212. [↑](#footnote-ref-124)
125. () المرجع السابق: 351. [↑](#footnote-ref-125)
126. () أصول البزدوي: 3. [↑](#footnote-ref-126)
127. () روح المعاني: 16/156. [↑](#footnote-ref-127)
128. () سورة القيامة:22،23. [↑](#footnote-ref-128)
129. () العقيدة الطحاوية، ص: 26. [↑](#footnote-ref-129)
130. () شرعة الإسلام: ص: 42. [↑](#footnote-ref-130)
131. () سورة آل عمران:7. [↑](#footnote-ref-131)
132. () أصول السرخسي: 1/170. [↑](#footnote-ref-132)
133. () عمدة القاري: 5/43. [↑](#footnote-ref-133)
134. () شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة: 3/398. [↑](#footnote-ref-134)
135. () مرقاة المفاتيح: 8/217. [↑](#footnote-ref-135)
136. () قطف الثمر، ص: 47-48. [↑](#footnote-ref-136)
137. () الجوهر المنفية في شرح وصية الإمام أبي كنيفة ص12. [↑](#footnote-ref-137)
138. () مقالات الإسلاميين: 124. [↑](#footnote-ref-138)
139. () الفقه الأكبر: 24. [↑](#footnote-ref-139)
140. () مجموع الفتاوى: 7/402. [↑](#footnote-ref-140)
141. () هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله، الثوري، أبو عبد الله الكوفي، أمير المؤمنين في الحديث، روى عن: أبيه، وإبراهيم بن عقبة، وإسماعيل السُّدِّي، وغيرهم، يقول ابن مهدي: ما رأيت أحفظ للحديث من الثوري، توفي سنة إحدى وستين ومائة من الهجرة، بالبصرة. انظر: السير 7/ 229 - 279، تهذيب التّهذيب 3/ 397 - 400، طبقات الحفّاظ ص96،95. [↑](#footnote-ref-141)
142. () منهاج السنة: 2/106. [↑](#footnote-ref-142)
143. () سورة المدَّثر:25. [↑](#footnote-ref-143)
144. () العقيدة الطحاوية: 24 [↑](#footnote-ref-144)
145. () شرح الطحاوية، ص: 179. [↑](#footnote-ref-145)
146. () شرح الطحاوية، 180-181. [↑](#footnote-ref-146)
147. () سورة الأعراف:148. [↑](#footnote-ref-147)
148. () سورة طه:89. [↑](#footnote-ref-148)
149. () شرح الطحاوية: 181. [↑](#footnote-ref-149)
150. () سورة يس:65. [↑](#footnote-ref-150)
151. () سورة فُصِّلَت:21. [↑](#footnote-ref-151)
152. () سورة النساء:164. [↑](#footnote-ref-152)
153. () شرح الطحاوية: 181. [↑](#footnote-ref-153)
154. () كتاب التوحيد: 9/151. [↑](#footnote-ref-154)
155. () شرح الطحاوية: 183. [↑](#footnote-ref-155)
156. () المرجع السابق: 188. [↑](#footnote-ref-156)
157. () سورة البقرة:176. [↑](#footnote-ref-157)
158. () شرح الطحاوية: 189. [↑](#footnote-ref-158)
159. () أصول البزدوي: 3-4. [↑](#footnote-ref-159)
160. () مناقب أبي حنيفة وصاحبيه للذهبي: 67. [↑](#footnote-ref-160)
161. () يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، الحافظ، العلم، الحجة، أبو سعيد الهمداني حدث عن: أبيه، وعاصم الاحول، وهشام بن عروة، وآخرون، وعنه: أبو داود الحفري، ويحيى بن آدم، ومعلى بن منصور، وأخرون، كان من أوعلية العلم، قال الحسن بن ثابت: نزلت بأفقه أهل الكوفة، [يعني يحيى]، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة . (ينظر: سير أعلام النبلاء: 8/337-340). [↑](#footnote-ref-161)
162. () انظر: شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي: 2/277 فما بعد، و2/280. [↑](#footnote-ref-162)
163. ()النحل:40. [↑](#footnote-ref-163)
164. () أصول البزدوي: 21. [↑](#footnote-ref-164)
165. () أصول السرخسي: 2/282. [↑](#footnote-ref-165)
166. () المرجع السابق: 2/72 [↑](#footnote-ref-166)
167. () أصول الدين: 104. [↑](#footnote-ref-167)
168. () البحر الرائق: 5/134. [↑](#footnote-ref-168)
169. () الفتاوى الهندية: 2/257. [↑](#footnote-ref-169)
170. () مجموع الفتاوى: 12/37. [↑](#footnote-ref-170)